حياة ابن جِنّي وتوجهاته الفكرية وقيمته العلميّة

.

الكلمات المفاتيح: الحياة الاجتماعية – التوجهات الفكرية – القيمة العلمية.

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لمْ يعلم، والصّلاةُ والسلامُ على من أعطى جوامع الكلم، فكان أفصح من نطق بالضاد، ورحمة الله – تعالى–على آلِ بيتهِ الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّهُ لا يخفَى على كُلِّ ذي بصيرةٍ في علم العربية ما لهذا العالم من أثرٍ بيِّنٍ في مسلكهِ لما تميّز بهِ من عُمق الثقافة، وغزارةِ العلم، وسعةِ الإدراك، وتعددِ التأليف، واهتم بآراء النُّحاةِ البارزين في المسائل اللُّغوية المختلفة، فكانت مؤلفاته كالمصبّ الهائل الذي تجتمع فيه كافة الروافد، ومن هنا رأت الباحثة أنْ تُحلّق بمُخيّلتِها عبر سُرُج الزمن إلى القرن الرَّابع الهجري، وتُميط اللِّثام عن حياةِ علَمٍ من أعلامِ العربيةِ آنذاك؛ تمتَّع بمكانةٍ عاليةٍ، وجهودٍ عظيمةٍ كانت سببًا في حفظ العربية وعُلُومها، وبسطها في مؤلفات غنية بتراثِنا اللُّغوي؛ لذلك اختارت وبعون الله وتوفيقه أنْ يكون موضوع الدِّراسة **(حياة ابن جِنّي وتوجهاته الفكرية وقيمته العلميّة)**.

فهو من هؤلاء السابقين الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري، ولهم حياتهم وأفكارهم وتوجهاتهم الفكرية والعقائدية، ولهم نتاج رائع في الدلالة واللُّغة والصرف والنحو، وغاية الدراسة هو إلقاء الضوء على بعض جوانب حياته وتوجهاته وإنجازاته.

اعتزمت الدراسة إظهار خبايا هذا العالم؛ لتوضيح جهوده في تاريخ النحو والصرف، وعرض تراثه وأعلامه، ومناهجه وإبانة مكانتها في الدِّراسات اللغوية.

وقد أُستُخدم في الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي مع الاستعانة بالمناهج الأُخرى وقت ما دعت الحاجة إلى ذلك، واعتُمد على عدة مصادر متخصصة في تاريخ النحويين، وعلماء العربية، والمعاجم التاريخية، والكتب النحوية والصرفية واللغوية، واقتضت متطلبات الدّراسة تقسيم البحث إلى مقدمة للتعريف بالموضوع، ومبحثين يحتوي كل منهما على عدة مطالب، وتنتهي بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، فجاءت الخطة على النحو التالي:

المبحث الأول: لمحة تاريخية موجزة عن حياة ابن جِنّي. وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني: صفاته والثناء عليه.

المطلب الثالث: عصره ووفاته.

المبحث الثاني: توجهاته الفكرية وقيمته العلميّة: يحتوي على مطلبين كالتالي:

المطلب الأول: توجهاته الفكرية

أولا: عقيدة ابن جِنّي.

ثانيا: مذهبه الكلامي.

ثالثا: علاقتهِ بالشعر والشعراء.

المطلب الثاني: قيمته العلمية.

أولا: خطه وعبارته.

ثانيا: مذهبه النحوي والآراء التي انفرد بها.

ثالثا: جهود ابن جني في علم الصرف.

رابعًا: جهوده في الصرف.

خامسًا: ابن جِنّي ونتاجه اللُّغوي والصوتي.

سادسًا: أساتذته وتلاميذه ومصنفاته.

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها الدِّراسة.

المبحث الأول: لمحة تاريخية موجزة عن حياة ابن جِنّي

المطلب الأول: نسبه ونشأته

اسمه: هو أبو الفتح عثمان بن جني، و(جِنّي): علم رومي مُعرب (كِنّي)، بسكون الياء، وكسر الجيم، وتشديد النُّون هو اسم أبيه [1]، ومعناه بالعربية "فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مُخلص"[2]، فلا تُشدد الياء كياء النَّسب إذ ليست بها، ولا تُعامل (جِنّي) معاملة الكلمات العربية؛ حتى لا تضيع صورة العلم، ويلتبس الأمر فتعامل معاملة المنقوص، ولهذا أُبقيت كما هي حفاظاً على صورتها [3]، وذُكِرَ في مُعجم المؤلفين أَنَّهُ يجوز أَن يطلق عليه عثمان بن جِنّي أوْ عثمان بن كِنّي [4].

كان أبوه رومياً يونانيّاً، وكان مملوكاً لـ سليمان بن فهد الأزدي[5] "وزير شرف الدولة قراوش ملك العرب وصاحب الموصل"[6]، لذلك ينسب ابن جِنّي أزديّاً بالولاء[7]، فهو من أصل غير عربي، ولا يُذكر شيئاً عن أبيه أين كان قبل أنْ يأتي إلى الموصل، وهل كان قد هاجر إليها؟ ولمْ يكن وُلِدَ فيها، ويفتخر بنسبهِ إلى القياصرة الذين دعا النبي – عليه الصَّلاة والسَّلام – لهم، فهو رومي، والروم قد تُطلق على اليونان عند العرب، وهؤلاء منهم قياصرة بيزنطة الإمبراطورية الرومانية الشرقية. والحقيقة لمْ يُذكر شيئاً محدداً في انتساب ابن جِنّي إلى القياصرة فهل هذا يعني أَنَّهُ كان من الروم؟ أوْ أَنَّهُ كان من أحفاد القياصرة؟ أوْ أَنَّها قرابة الدّم؟ وقد ذُكِرَ أَنَّهُ يقول في قصيدة لهُ:[8]

على أَنِّي أؤول إلى **** قُرُوم سادةٍ نُجُب

قياصرة إذا نطقوا **** أرمَّ الدهر الخُطَب

أولاك دعا النبي لهم **** كفى شرفاً دعاءُ نبي

---

1 . ينظر: بغية الوعاة: السيوطي 132/2.
2 . الخصائص: ابن جِنّي 8/1 "مقدمة المحقق محمد علي النّجّار".
3 . ينظر: المصدر السابق 9/1.
4 . ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 455.
5 . ينظر: معجم الأُدباء: ياقوت الحموي 81/11.
6 . الكامل: ابن الأثير حوادث 411 – 321/9.
7 . ينظر: الخصائص: ابن جِنّي 5/1 "مقدمة محمد علي النّجّار، ينظر: المنصف: شرح ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني288/1.
8 . وفيات الأعيان: ابن خلكان 246/3.

ولأَنَّهُ من أصل غير عربي، ومن مجتمع يقوم على العصبيّة فمن الطبيعي أَنْ يتضايق من هذا الأمر غاية الضيق، فالمجتمع الذي نشأ فيه لمْ يكن يتّفق مع تعاليم ديننا الحنيف من الناحية العصبيّة، وهذا ما دفع ابن جِنّي للتحدّث عن هذا الأمر في شعره ويُثبت أنَّ نسبه في الورى، أي: الخلق هو العلم، وأَنَّ الله عوضه علماً إليه ينتسب وبهِ يتشرف فيقول في إحدى قصائده:[9]

فإنْ أصبح بلا نسب ********** فعلمي في الوَرَى نَسَبِي

وأما مولده: "ولد ابن جِنّي بالموصل"[10]، ولوُحِظَ تفاوت في تحديد سنة ولادته، ففي بغية الوعاة ومعجم الأُدباء لم يحدد كلّ منهما سنة معينة لولادة ابن جِنّي فقد ذكرا "أَنَّ مولده كان قبل الثلاثين وثلاثمائة"[11]، وقيل: إنَّهُ ولد سنة اثنين وثلاثمائة للهجرة، أو أَنَّ مولده كان سنة 320 هـ، بينما في الفهرست ذُكِرَ "أَنَّ مولده كان قبل الثلاثين وثلاثمائة من الهجرة"[12]، وعلى رأي آخر أَنَّ أبا الفتح "ولد سنة 334 هـ"[13]، والمصادر التي تؤرخ لحياة ابن جِنّي تضطرب في تحديد السنة، إلاَّ أَنَّ خلاصة هذه الآراء تُرجّح أَنَّ مولد ابن جِنّي كان ما بين سنة "320 هـ وسنة 322 هـ"[14]، وإذا كان من المعروف أَنَّ ابن جِنّي توفى عن عمر يناهز السبعين[15]، فمن البديهي إذا طرحت مدة سنين عمره من تاريخ وفاته وهي سنة 392 هـ، لعُرِف أَنَّ ولادة ابن جِنّي تكون في 321هـ و322هـ على وجه التقريب، ويُرجّح محقق الخصائص ذلك فيقول: إذا كان أبو الفتح تصدَّر للتدريس بجامع الموصل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة يكون عمره في ذلك الوقت خمسة عشر عاماً، ومن غير المألوف أَنْ يتعرض المرء للتدريس في هذه السن المبكرة حيث لا أُرجح هذا الرأي بل المرجح ما ذكرهُ مُعظم الرّواة في أَنَّ مولده ربما كان سنة عشرين وثلاثمائة فتكون سِنّه عندما تعرّض للتدريس سبعة عشر عاماً [16].

شَبَّ ابن جني بالموصل واستقى تعليمه في مساجدها، ومنها مضى إلى بلدان مختلفة، وتحمل المشاق في سبيل تحصيل العلم، فتعلم اللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والقراءات، وقد ذكر بأن جميع رواياته مما سمعها من

9 . وفيات الأعيان: ابن خلكان 246/3.
10 . الأعلام: الزركلي 204/4.
11 . بغية الوعاة: السيوطي 132/2، معجم الأدباء: ياقوت الحموي 83/11.
12 . الفهرست لابن النديم 95.
13 . سر صناعة الإعراب: ابن جني 7/1 "مقدمة المحقق".
14 . الخصائص: ابن جني 9/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار".
15 . ينظر: نفس المصدر السابق 9/1.
16 . ينظر: الخصائص: ابن جني 10/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار"، ينظر: دراسات نحوية في خصائص ابن جني: د. أحمد سليمان

شيوخه – رحمهم الله – وقرأها عليهم بالعراق، والموصل، والشام، وغير هذه البلاد التي أتاها وأقام بها [17]، ولم يكن أحد من شيوخه بالموصل غير الأخفش الثاني، الذي عُرِف عنه "أنه كان إماماً في النحو، فقيهاً فاضلاً، عارفاً بمذهب الشافعية، قرأ عليه ابن جني [18].

وقد انتبه ابن جنّي من نفسه النباهة مبكرًا، فقرر الذهاب إلى جامع الموصل والجلوس مع العلماء والأساتذة، وذات يوم مر أبو علي الفارسي فسمعه يتحدث عن مسألة (قلب الواو ألفاً[19])، كـ عاد – قاد، استنكر أبو علي منه ذلك، وأعلمه الصواب، وقال له: (تزبزبت وأنت حُصْرم) قاصدًا بذلك استعجاله في تصدره للتدريس، وقد كانت تلك الواقعة سبباً في اتصاله بأبي علي وصحبته إياه أربعين سنة [20].

ويبدو أَنَّ أَبا الفتح كان يُعاني مع أُسرته هموم الحياة وتصاريفها، ولا يُعرف من أُسرة ابن جِنّي غير أبيه، ولابن جِنّي ثلاثة من الولد عليّ وعالٍ وعلاء، وذُكِرَ في مُعجم الأُدباء أنه: "كُلّهم أُدباء فضلاء قد خرّجهم وحسّن خطوطهم، فهم معدودون في صحيحي الضبط، وحسني الخط"[21]، ولم يرد أي ذكر لأبنائِهِ غير ابنه "عالٍ" ولهُ ترجمة في مُعجم الأُدباء[22]، فكان نحوياً أديباً حسن الخط، أخذ عن أبيه وذُكِرَ أَنهُ توفى سنة سبع أوْ ثمان وأربعمائة، ويبدو من هذا أَنَّ عالياً كان من المحدثين، وأَنَّهُ لم يكن من أولاده من اسمه الفتح وأَنَّ كنيته بأبي الفتح كما قال الشاعر:

(لها كُنية عمرو وليس لها عمرو) [23].

17 - ينظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي 111/12.
18 - بغية الوعاة: السيوطي 389/1.
19 - ينظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي 91/12.
20 - ينظر: المصدر السابق: ياقوت الحموي 90/12.
21 . معجم الأدباء 91/11، 219/13، 130/15.
22 . ينظر: المصدر السابق 39/12، 113/11.
23 . الخصائص: ابن جِنّي 56/1 (مقدمة المحقق محمد علي النّجّار).

المطلب الثاني: صفاته والثناء عليه:

لم تذكر لنا كتب التراجم صورة واضحة عن سمات ابن جني الخلقية، ولا نعرف سوى أنه أخذ عن أبيه الرومي شعره الأشقر، وذُكِر أن فيه بعضًا من التركية، يرجح الدكتور فاضل السامرائي أن تكون الرومية، وأغلب الظن كونه قوقازي أبيض اللون، وإن كان غالب على المواصلة سمرة اللون [24].

كان ابن جِنّي أعور يقول المؤرخون: "أنَّهُ كان ممتّعاً بإحدى عينيه كناية عن العور"[25]، ومن عاداته في الحديث فيما زعم يعض من يتحدث عنه أَنَّهُ يميل بشفتيه، ويشير بيديه، وذُكِرَ هذا عن بعض الكتاب في ديوان آل بويه في بغداد عن أبي الفتح عندما رآه يتحدث، فأمعن فيهِ النظر، فسألهُ أبو الفتح في ذلك، فقال لهُ: "شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدّث ويقول ببوزه كذا، وكذا بقرد رأيتهُ اليوم، فانزعج أبو الفتح، وقال: ما هذا القول، فقال لهُ: المعذرة أيّها الشيخ إليك وإلى الله– تعالى– على أَنْ أُشبّهك بالقرد، وإنَّما شبّهت القرد بك، وعلم أبو الفتح أَنَّها نادرة تُشيع فكان يتحدّث بها هو دائما"[26]، ويبدو أَنَّ مرد هذه العادة عند ابن جِنّي ميله دائما إلى الإطناب، والتكرار في الإقناع بكل ما في وسعهِ، ولا شك أَنَّ الإشارة باليد أو الفم من الوسائل النافعة " وعلى ذلك قالوا: رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة"[27]، وذُكِرَ أَنَّهُ كان يستعين على إيضاح ما يُريد بالإشارة؛ لأَنَّ ابن جِنّي كان في لسانهِ لكنة لمكانته من العجمة من جهة أبيه.

وقد تميّز ابن جِنّي بالجدّية والصدق، فلم يُذكر عنه ما ذُكِرَ عن أمثاله من رجال الأدب في عصرهِ من اللهو والشرب والمجون، وكان عف اللسان والقلم، صحيح الدّين قوي العقيدة، لايميل لكثرة المزاج والثرثرة، رقيقاً يكنّ الود لأصحابه، ويرعى مودّتهم، فمن شعرهِ في العتب على صديق لهُ:[28].

صدودك عنّي ولا ذنب لي ** يدلُ على نية فاسدة**

فقد وحياتك ممَّا بكيت ** خشيتُ على عيني الواحدة**

"قال خشيتُ على عيني الواحدة؛ لأَنَّهُ كان أعور [29]، ولم تذكر المصادر شيء عن خلقهِ وسماتهِ هل كان طويلاً أو قصيراً؟ وهل كان بديناً أمْ نحيفاً؟ وهل كان أبيضا أو أسمرا؟

24 ـ ينظر: ابن جني النحوي: فاضل السامرائي 24، ينظر: تاريخ بغداد: الشيخ زكريا بن يزيد 334/1، ينظر: فهرست أبي بكر بن خير 318.
25 . شذرات الذهب: الحنبلي 140/3، الخصائص: ابن جِنّي 11/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار"
26 . معجم الأُدباء: 84/11.
27 . الخصائص: ابن جني 247/1 "تحقيق محمد علي النجار".
28 . وفيات الأعيان: ابن خلكان 411/1.

بلغ أبو الفتح في عُلُوم العربية من الجلالة والمكانة ما لمْ يبلغهُ إلَّا القليل، إذْ تميّز بطباع الاستقصاء والغوص في التّفاصيل، والتّعمق في التّحليل، واستنباط المبادئ والأُصول من الجزئيات، وكان (المتنبي)* يجلّه ويعجب بذكائهِ وحدقهِ فيقول فيهِ: "هذا رجل لا يعرف قدرهُ كثير من الناس"((30).

فقد أصبح ابن جِنّي في مجرى القرون بعده مضرب المثل في معرفة النحو والتبريز فيهِ، فهو من أحدق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتّصريف، وصنّف في ذلك كُتباً أُعجِبَ بها المتقدمين وأعجز المتأخّرين، ولقد ذُكِرَ في "يتيمة الدّهر" أَنَّهُ "القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب"((31)، إذْ كان نحوياً حاذقاً مجوداً، ولابن جِنّي قصيدة بائية ذُكِرتْ في معجم الأُدباء تُنبئ عن أَنَّهُ نال ما يبغي من المكان والمنزلة ومن ذلك قوله: (32)

شكرتُ الله نعمتَهُ *********** وما أولاه من اربِ**

زَكَتْ عندي صنائعهُ ** فوفّقني وأحسن بي**

المطلب الثالث: عصره ووفاته

ظهر ابن جِنّي في القرن الرابع الهجري، وهذا العصر يُزامن ضعف الدولة العباسية، والخلفاء مغلوبون على أمرهم، والأمر لغيرهم، ومصر في أيدي الإخشيديين، ثُمَّ في أيدي الفاطميين، وولايات فارس يتداولها المتغلبون، والموصل وحلب بيد الحمدانيين، وبغداد تحت سلطان آل بويه منذُ سنة 334 هـ، وقد ذُكِرَ في تاريخ بغداد "سكن ابن جِنّي بغداد ودرس بها العلم إلى أَنْ مات"(33).

وفي أنباه الرّواة ذُكِرَ أَنَّ أبا الفتح ابن جِنّي خدم بيت آل بويه في بغداد في عهد عضد الدولة*، وولدهُ صمصام الدولة، وولدهُ شرف الدولة، وولدهُ بهاء الدولة، ومات في عهده، وكان يلازمهم في دورهم ويبايتهم(34)، ومعنى هذا أَنَّهُ كان مقرباً عندهم، يأنسون إليهِ، وينال من ودهم، وتوثقت صلته بآل بويه في بغداد في شهر شيراز.

وأما وفاته رحمه الله فقد يتّفق المحققون في تحديد سنة وفاتهِ وهي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (35)، وفي تاريخ بغداد نجد ما يؤكد لنا هذه الحقيقة، إذْ ذُكِرَ أَنَّ وفاتهِ كانت في "بغداد في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة

29 . نزهة الألباء في طبقات الأُدباء: الأنباري 288.
30 . معجم الأدباء: ياقوت الحموي 89/11.
31 . يتيمة الدهر، للثعالبي 137/1.
32 . ياقوت الحموي 98/11.
33 . تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي 310/11.
34 . ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي 304/2.

اثنتين وتسعين وثلاثمائة"[36]، وهناك من يقول أَنَّ وفاتهِ كانت ببغداد سنة: (393هـ) [37]، وذُكِرَ في أنباء الرواة أَنَّهُ: "استوطن أبو الفتح دار السلام ودرس بها إلى أَنْ مات، وكانت وفاته ببغداد في يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة"[38]، وفي نفس المصدر ذُكِرَ أَنَّ ابن جِنّي خدم البيت البويهي، وفي زمانهم مات، وكان يلازمهم دائماً في دورهم ويبايتهم.

والجدير بالذّكر أَنَّ بهاء الدولة قد حكم من سنة "403 هـ إلى أَنْ توفى سنة 403 هـ"[39]، ومن هذا أُرجح أَنَّ كلمة سبعين التي وردتْ في قول القفطي مُحرّفة عن كلمة تسعين، وبهذا تكون وفاة ابن جِنّي سنة 393 هـ، وعلى هذا يجمع الرّواة وكانت وفاته في بغداد ودُفِن في مقابرها.

ويخالف هؤلاء جميعاً ما ذُكِرَ في كشف الظنون أَنَّ وفاته كانت سنة 792 هـ وهذا أبعد ما يكون من الواقع؛ لأَنَّهُ خالف جميع المحققين [40].

35 . ينظر: نزهة الألباء: الأنباري 288، معجم الأدباء: ياقوت الحموي 83/11، بغية الوعاء: السيوطي 132/2، الفهرست: لابن النديم 95.
36 . تاريخ بغداد: البغدادي 310/11.
37 . الكامل: ابن الأثير 179/9.
38 . أنباء الرواة: القفطي 336/2.
39 . شذرات الذهب: الحنبلي 166/3.
40 . تاريخ بغداد،652/1.

المبحث الثاني: توجهاته الفكرية وقيمته العلميّة ويحتوي على مطلبين كالتالي:

المطلب الأول: توجهاته الفكرية

أولا: عقيدة ابن جِنّي

عند الحديث عن نسب ابن جِنّي أوردْتُ شعراً لهُ يُذْكر فيهِ في انتسابهِ للروم وذلك إذْ يقول:[41]

فإنْ أُصْبِحْ بلا نسب ** فعلمي في الورى نسبي**

على أَنّي أؤول إلى ** قُرُمِ سادةٍ نُجُبِ**

قياصرة إذا نطقوا ** أَرَمّ الدّهْرُ في الحُطَبِ**

ولمْ يُعرف عن ابن جِنّي أَنَّهُ كان شيعياً، وإنَّما كان يصانعهم، وكان من مصانعته لهم أنَّ ذوو السلطان آل بويه منهم، وكان متصلاً بهم صلة قوية، وكان البويهيون يحرصون على إظهار الشيعة [42].

ويبدو أنَّ ابن جِنّي كان حنفي المذهب، ولا عجب في ذلك فهو عراقي يصبو إلى مذهب أهل العراق، فقد جاء ذِكر الإمام أبي حنيفة في الخصائص، فقال: "هذا موضع كان أبو حنيفة – رحمه الله – يراهُ ويأخذ بهِ"[43]، وانتسابه للحنفية في الفقه يبدو من قوله في الخصائص: "إنَّما ينتزع أصحابنا منها العلل"[44]، فقوله أصحابنا يعني بهِ اتباع أبي حنيفة، ويبدو أَنَّ ابن جِنّي كان ينظر في كتب الفقه وأُصوله كثيراً، غير أنَّ شوقي ضيف يعتبرهُ بغداديًا من طراز خاص.

ثانيا: مذهبه الكلامي

"كان معتزلاً كشيخهِ أبي علي"[45]، وسأسوق بعض أقوالهِ المُنبئة عن اعتزالهِ، فمثلاً في الخصائص – في باب الحكم يقف بين الحكمين – يكرر عبارة "المنزلة بين المنزلتين"[46]، وهذه إحدى أقوال المعتزلة[47]؛ لكنَّهُ قد لا يتقيّد

41 . الخصائص: ابن جني 7/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار"
42 . ينظر: الخصائص: ابن جني 40/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار"
43 . الخصائص: ابن جني 208/1.
44 . المصدر السابق 163/1.
45 . المزهر: لـ السيوطي 10/1.
46 . الخصائص: ابن جني 359/2.

بمذهب المعتزلة، بل يذهب إلى ما يراهُ الحقّ وما هو أدنى إلى الإنصاف، ففي كلامهِ عن اللُّغة، وهل هي اصطلاح أوْ توقيف، ذكر رأي التوقيف، ثُمَّ قال في الخصائص: "إذا كان الخبر الصحيح ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول بهِ"[48]، ويبدو في هذا أَنَّ ابن جِنّي لا يجزم على أمر معين؛ لكنَّهُ يميل إلى كونها توقيف وبذلك يخالف مذهب الاعتزال الذي يجزم بأَنَّها اصطلاح وتواضع.

وفي باب ورود الوفاق مع وجود الخلاف في فعل العبد–، يقول: "قد قال بعض الناس: إنَّ الفعل لله، وإنَّ أفعال العبد مكتسبة وإنْ كان هذا خطأ عندنا فإنَّهُ لقوم"[49]. وهو يعني بقولهِ بعض الناس أهل السُّنّة، ومذهب المعتزلة " إنَّ العبد قادر خالق لأفعالهِ"[50].

ومن ذلك أيضاً في – باب إنَّ المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة –، يقول: "وكذلك أفعال القدير– سبحانه – نحو: خلق الله السماء والأرض، وما كان مثله. ألا ترى أنَّهُ – عزّ اسمه – لم يكن منهُ بذلك خلق أفعالنا ولو كان حقيقة لا مجازاً لكان خالقاً للكفر والعدوان، وغيرهما من أفعالنا – عزّ وعلا –[51]، فتراهُ ينسب للعبد خلق الفعل وهذا مذهب اعتزالي.

ثالثا: علاقته بالشعر والشعراء

كان لابن جِنّي شعر، ويُوصف في الكامل بأَنَّهُ "شعر بارد"[52]، وكان أساس هذا الحكم منهُ أَنَّهُ كان يتعاطى في شعرهِ الغريب والمعقد من الأساليب، وقيل: "كان الشعر أقل خلالهِ لعظم قدره وارتفاع حاله"[53]، وأنَّهُ لم يكن يعنى بالشعر فقد كان همّهُ العلم وكان غِناه بهِ، ومع هذا "كان يقول الشعر ويجيد نظمه"[54]، ويقول الباخرزي في دمية القصر: "وما كنتُ أعلم أَنَّهُ ينظّم القريض ويسيغ ذلك الجريض حتى قرأت مرثيته في المتنبي والتي منها:[55]

غاض القريضُ وأودتْ نضرة الأدبِ ** وصوّحتْ بعد رِيّ دَوحةُ الكُتُبِ**

---

47 . ينظر: الملل والنحل: لـ أحمد فهمي.
48 . الخصائص: ابن جني 41/1.
49 . الخصائص: ابن جني 213/2.
50 . الملل والنحل: أحمد فهمي 39/1.
51 . الخصائص: ابن جني 449/2.
52 . الكامل لابن الأثير "حوادث سنة 393 هـ"
53 . يتيمة الدهر: الثعالبي 137/1.
54 . تاريخ بغداد: 310/11.
55 . الخصائص: /49 "مقدمة المحقق محمد علي النجار".

سُلِبْتَ ثوب بهاء كنت تلبسهُ ** كما تُخْطِّفت بالخطيّة السُلُبِ**

ولهُ في الفخر قصيدة طويلة يقول في مطلعها:[56]

وحُلْوِ شمائل الأدب ** مُنِيفِ مراتب الحَسَب**

ولهُ في الغزل أيضاً ومن ذلك: [57]

غزالٌ غير وحشيّ ** حكى الوحشيّ مقلته**

ولهُ في الحنين إلى الشباب وبكاء عهده الناضر ومن ذلك:[58]

رأيت محاسن ضحك الربيع ** طال عليها بكاء السحاب**

وقد ورد في يتيمة الدهر قصيدة مطلعها: [59]

أيا دارهم ما أنت أنت مذ أنتووا ** ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا**

وقد اجتمع بالمتنبي بحلب عند سيف الدولة بن حمدان*، وفي شيراز اجتمعا عند عضد الدولة ببغداد، وكان المتنبي يجله ويقول فيهِ عبارته المشهورة والتي سبق ذكرها [60]، وهو ممن شارك ابن جِنّي في الأخذ عن أبي علي وملازمته، وكان ابن جِنّي يحسن الثناء على المتنبي في كتبه، ويستشهد بشعرهِ في المعاني والأغراض، ويعبر عنهُ بشاعرنا. ويقول في الخصائص: "وحدّثني المتنبي شاعرنا وما عرفتهُ إلاَّ صادقاً"[61]، وكان لهُ هوى في أبي الطيب وكثير الأعجاب بشعرهِ، لا يبالي بأحد يذمه أوْ يحطّ فيهِ "وابن جِنّي هو أول من شرح ديوان المتنبي، وقد شرحهُ شرحين الشرح الكبير والشرح الصّغير والأخير هو الباقي لنا"[62]، "وكان قد قرأ الديوان على صاحبهِ وكان المتنبي يقول: ابن جِنّي أعرف بشعري منّي"[63].

56 . معجم الأدباء: 90/11 – 96.
57 . المصدر السابق 90/11 – 96.
58 . المصدر السابق 90/11 – 96.
59 . يتيمة الدهر 138/1.
60 . ينظر: ص7 من هذا الفصل.
61 . الخصائص: ابن جِنّي 239.
62 . الصبح المنبئ عن حيثية المتنبي: يوسف البديعي 160.
63 . شذرات الذهب: الحنبلي 141/3.

المطلب الثاني: قيمته العلميّة

أولا: خطه وعبارته

لابن جِنّي طريقة في الخط معروفة، وفي معجم الأُدباء وصف لأحد أصحاب ابن جِنّي "وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد سلك فيهِ طريقة شيخه أبا الفتح"[64]، وفي نفس المصدر ذُكِرَ أَنَّهُ في أحد التّراجم كتب كتابا قال في ختامهِ: "نقلتهُ من نسخة وجدتُ عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني – أيدهُ الله – بلغ عثمان بن جِنّي نسخاً من أوله وعرضاً"[65]، فيبدو أَنَّهُ كتب بخطهِ كثيراً من كُتُب الأدب ودواوين اللُّغة.

"اشتهر ابن جِنّي ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو في عبارته، ويبلغ بها ذروة الفصاحة في المسائل العلميّة الجافة البعيدة عن الخيال والتطرية"[66]، ولابن جِنّي في عبارته وجوه في استعمال بعض المفردات أقرّها اللُّغويون ثقة بطبيعته العربية، ومثال ذلك: أَنَّهُ يستعمل الأصليّة في معنى التأصل، ويقول في ذلك صاحب اللسان: "واستعمل ابن جِنّي الأصليّة في موضع التأصل فقال: الألف وإنْ كانت في أكثر أحوالها بدلاً أوْ زائدة فإنَّها إذا كانت بدلاً من أصل جرت في الأصليّة مجراه، وهذا لمْ تنطق بهِ العرب وإنَّما هو شيء استعملهُ الأوائل في بعض كلامهم"[67]، "فالأصليّة للشيء كونه أصلاً وهذا معنى التأصل"[68].

كما قال في الخصائص في –باب في امتناع العرب من الكلام كما يجوز في القياس – "فالعين في الصّحيح إنَّما غاية أصليتها أَنْ تقع متحركة"[69]، على أَنَّهُ قد تصدر منهُ بعض الهنات الكلاميَّة التي لا تنقص من بلاغتهِ، فهو يدخل الواو بعد لاسيما، وقد ذكر في الخصائص ما يثبت ذلك وهذا لا يُجيزه بعض النحاة، وكذلك يدخل "ال" على بعض مثل قولهِ: "فلمَّا كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض ....." [70].

---

64 . معجم الأدباء: 219/13.
65 . المصدر السابق 130/15.
66 . الخصائص: ابن جني 27/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار".
67 . المصدر السابق 28/1 ، اللسان: ابن منظور 16/11 مادة (أصل).
68 . المصدر السابق 27/1.
69 . المصدر السابق 393/1.
70 . المصدر السابق 64/1 – 65.

ثانيا: مذهبه النّحوي والآراء التي انفرد بها

يعدُّ ابن جِنّي إماما في النحو والصرف، لكنَّهُ أبرع في الصرف منهُ في النحو؛ وسبب براعته في الصرف أَنَّ عجزهِ أمام أبا علي كان في مسألة صرفيّة، فكان جِدّه في الصرف أكثر وأبلغ من جِدَّه في النحو، وقد كانت المذاهب النحويّة ثلاثة مذاهب، المذهب البصري، والمذهب الكوفي، ومذهب خلطا من المذهبين والتخيير منهما وهو المذهب البغدادي، ولم يكن ابن جِنّي متعصب أوْ متحيّز لأي منهج من المذاهب الثلاثة، ولشدة حبّه للعلم كان يأخذهُ من أصلهِ بصرياً كان أوْ غيره، فيكثر من النقل عن ثعلب والكسائي رغم اختلافه معهما في المذهب، وكان يقيم مذهبهُ الصرفي والنحوي على الانتخاب بين المذهبين البصري والكوفي، فمثلاً كان يوافق البصريين في مسائل كثيرة منها:

1/ "كان يأخذ في رأيهم من أَنَّ المصدر أصل والفعل مشتق منه"[71].

2/ "كان يأخذ برأيهم من المضارع منصوب بـ أَنْ بعد حتى وجوباً، مثل:

اتَّقي الله حتى يدخلَك الجنة"[72].

3/ "كان يأخذ برأيهم في أنَّ ناصب المفعول بهِ الفعل السابق لهُ"[73].

وإلى جانب ذلك كان يأخذ برأي الكوفيين في مسائل منها:

1/ إنَّهُ كان يتابع الكوفيين في جواز "ضرب غلامه زيداً"؛ لمجيئ ذلك في النظم، وكان الجمهور يمنع ذلك؛ لعود الضمير المتّصل بالفاعل على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا الرأي عند الجمهور شاذ [74].

كان كشيخه أبي علي بصريّاً فهو يجري في كتبه ومباحثه على أُصول هذا المذهب، ويذكر دائماً قوله: "هذا قول أصحابنا ومن المؤكد يعني بقولهِ أصحابنا البصريين [75]، فلم يكن كوفياً إلاَّ أَنَّ هناك من اعتبر ابن جِنّي في عداد البغداديين وشُبْهته في هذا أَنَّهُ سكن بغداد، وعاش فيها حتى انتقل إلى رحمة الله"[76].

71 . الخصائص: ابن جني 113/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار".
72 . المصدر السابق 260/3.
73 . المصدر السابق 102/1.
74 . ينظر: أوضح المسالك 331/1.
75 . الخصائص: 45/1 "مقدمة المحقق محمد علي النجار".
76 . ينظر: المصدر السابق.

وابن جِنّي مع حرصهِ على اتّباع من سبقهُ وتبجيله لهم لا يبالي أنْ يخالفهم إذا اهتدى لرأي لم يقولوا بهِ، واستوى لهُ دليله، واستقرت عندهُ حجته فمن أرائهِ الاجتهادية التي انفرد بها:

1/ "كان الجمهور يذهب إلى تقسيم الأسباب المانعة للاسم من الصرف إلى:

أ/ معنوية: وهي العلمية والوصفيّة.

ب/ لفظيّة: وهي العدل – زيادة الألف والنون – وزن الفعل – التأنيث – موازنة جمعي مفاعل ومفاعيل – العُجمة – التّركيب المزجي، أمَّا ابن جِنّي فقد ذهب إلى أنَّها جميعاً معنويّة ماعدا وزن الفعل في مثل: أحمد ويزيد"[77].

2/ كان يُجيز تقديم المفعول معهُ على المفعول قبله فيقال: "جاء ثياب الصوف البرد"[78].

3/ كان سيبويه يرى أَنَّ كلمة (خرب) في قولهم "هذا جحر ضب خرب" مجرورة على الجوار لضب.

"أمَّا ابن جِنّي فقد رأى أَنَّها مجرورة على الأصل فالتقدير: "هذا جحر ضب خرب جحره" فحذف المضاف وجاء بالمضاف إليه في جحره وهو الضمير، فهو صفة لجحر على تقدير حذف المضاف، أي: هذا جحر ضب خربه"[79]، ويعدُّ كتاب الخصائص لابن جِنّي عبارة عن مجموعة من الأقيسة فكان يقول: "إِنَّ مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس"[80].

وقد تبع ابن جِنّي أُستاذه أبا علي في كثير من أرائه الاجتهادية منها:

1/ "كان يذهب مع أُستاذه إلى جواز العطف على محل المجرور بالنّصب مثل: –مررت بزيد وعمرو –، فيقال: مررْتُ بزيد وعمرا"[81].

2/ "ذهب مذهب أُستاذه في أَنَّهُ لا يصح تأكيد العائد المحذوف مثل: –الذي رأيت نفسه زيد – على أنْ تكون نفسه تأكيداً للضمير المحذوف في رأيت على تقدير: رأيته"[82].

77 . المصدر نفسه، 109/1.
78 . المصدر السابق 383/2.
79 . المصدر السابق 192/1.
80 . الخصائص: 88/2.
81 . المصدر السابق 353/2.
82 . المصدر السابق 287/1.

ثالثا: جهود ابن جني في علم الصرف:

"لم يكن في شيء من عُلُومه أكمل منهُ في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلامًا منه"[83]، فطرح منهجه طرحًا واسعًا مدوّنًا ما لا يُعَدّ من أرائه المبتكرة، ولا غرو أنَّهُ استطاع أن يُبيّن ما لهذا العلم من مكانة هامة في اللُّغة العربية وبين عُلُوم اللُّغة قاطبة، إذْ كلّها تتعاضد بهِ في كشف بنية الكلمة ومعرفة الاشتقاق الذي يعتبر حجر الأساس لفهم تصاريفها وأُصولها، "ولعلَّ سبب تبحره في التصريف يرجع في صحبته لأبي علي وتغربه عن وطنه ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه" [84].

قال ابن جنّي: "وهذا القبيل من العمل أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة وهم إليه أشدّ فاقة؛ لأنَّهُ ميزان العربية، وبهِ تعرف أُصول كلام العرب من الزوائد الدّاخلة عليهم، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلَّا بهِ، وقد يؤخذ جزء من اللُّغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلَّا عن طريق التصريف"[85].

ولعلَّ لمحة سريعة في هذا الأثر الجليل لتؤيد هذا القول وتؤكده، فالاشتقاق "المشتقات" موضوع منفرد لهُ أقسام وتفرعات عديدة، والحديث فيه يطول؛ ولكن في بحثنا هذا لن نخوض في ذلك كله، ونكتفي بما سنسرده من أمثلة توضح أهمية هذا المصطلح ودوره في إثراء اللُّغة.

وينبغي أن تعلم أنَّ هناك نسبًا قريبًا واتصالًا وثيقًا بين التصريف والاشتقاق، فالتصريف أنْ تأتي إلى الكلمة الواحدة وتصرفها على وجوهٍ مختلفة، نحو قولك: ضرب في الماضي، يضربُ في المضارع، اسم الفاعل ضارب، اسم المفعول مضروب، المصدر ضربًا، المبني للمجهول ضُرِبَ، المبالغة في الضرب ضرَّاب، والأمر ذاته في الاشتقاق فإنَّك تشتق من المصدر الفعل الماضي، والمضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول وغير ذلك، فالغرض من التصريف توضيح ما يعتري حروف الكلمة من أصالة، وزيادة، وحذف، والغرض من الاشتقاق بيان طرق انتزاع هذه الصيغ من بعض، ومن هذا المنطلق فقد فُسِّر الاشتقاق بما فُسِّر به التصريف [86].

يقول صبحي الصالح: فهذه "الوسيلة الرائعة في توليد الألفاظ وتجديد الدلالات نجدها في أنواع الاشتقاق الثلاثة: الشائعة الأصغر، والكبير، والأكبر، وفي النوع الرابع الملحق بها وهو "النحت" الذي يؤثر بعض المحدثين أن يسميه

83 - معجم الأدباء: 81/12.
84 - نزهة الألباء: الأنباري 229.
85 - المنصف: ص31.
86 - المنصف: ابن جني 278/3.

بالاشتقاق الكُبَّار"[87]، وقد بحث المتقدمون في هذا الفن، واستقر عندهم في النهاية على أنواع يشملها هذا الحد، وهو:

الاشتقاق الصغير: قال ابن جني الاشتقاق عندي على ضربين صغير وكبير:

فالصغير؛ والذي نعني بهِ المشتقات فقد عرفهُ بأنَّ معناه ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأتي بأصلٍ من الأُصول، وتجمع بين معانيه، وإن تباينت صوره ومبانيه، وذلك كتركيب: ضارب من الضرب، شاكر من الشكر، حامد من الحمد، كتابة من كتب، وقد نأخذ أكثر من كلمة من الأصل الواحد، مثال: علم ويعلم، عالم وعلمان، وعلامة وعليم، وغيره من الأُصول كتركيب: سلم ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى والسلامة، والسليم.

فتماثل الكلمة المشتقة من الأصل في المعنى والترتيب المتعلق بحروفها يضفي مدلولًا جديدًا نافعًا عليها، أي: يحمل في معناه مضمونها الأصلي، كالتراكيب السابقة فإنَّنا نأخذ منها معنى: الضرب، الشكر، الحمد، العلم، السلامة، "وفضل لُغة العرب على سائر اللُّغات بهذه التصاريف وكثرتها، وأن بالحركة من الحركات؛ التي هي الضمة والفتحة والكسرة، وبالحرف يفرق بين معانٍ بينه وبين معنى الضرب بحركة، فنابت عن ذكر الزمان وعن أنَّهُ فعل يقتضي فاعلًا، وكذلك إذا سمعت "حصين، وحصان" فرق لك البناءان بين المرادين"[88]، ونظائر هذا النوع من الاشتقاق فاشية ومتنوعة.

وأمَّا الاشتقاق الكبير (القلب اللُّغوي)؛ فلم "يقل بهِ أحد من النحويين إلَّا أبا الفتح"[89] في أواخر القرن الرابع الهجري، قال ابن جنّي: "هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا غير أبا علي _ رحمه الله – كان يستعين بهِ، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنّه مع هذا لم يسمّه، إنَّما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل بهِ، إنَّما هذا التقليب لنا نحن، وستراه فتعلن أنَّهُ لقب مستحسن"[90]، وهو أن تأتي بأصلٍ من الأُصول الثلاثية، فتجري عليه وعلى تقاليبه السّتة معنى واحدًا، تجتمع التراكيب جميعها وما يتصرف من كلِّ واحد منها عليه[91]، أي عقد تقاليب الكلمة كُلّها على معنى واحد، ومثال ما يجيء من تقليب تراكيبها: (ك ل م) "فهذه أيضًا حالها، وذلك أنَّها حيثُ تقلبت فمعناها الدَّلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها خمسة، وهي: (ك ل م) (ك م ل) (ل ك م) (م ك ل) (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك)، فلم تأتي في ثبتٍ[92].

87 ـ دراسات في فقه اللغة 174.
88 ـ الاشتقاق: ابن السراج 28.
89 ـ الممتع في التصريف: ابن عصفور 39.
90 ـ الخصائص: 133/2.
91 ـ ينظر: الخصائص: 134/2.
92 ـ المصدر السابق: 13/1.

وقد ذكر أبو الفتح بعدم اطّراد هذا النوع من الاشتقاق، فقال: "على أنَّ هذا، وإن لم يطّرِد ويَنْقَدْ في كُلِّ أصلًا، فالعذر فيه على كُلِّ حال أبين منهُ في الأصل الواحد، من غير تقليب لشيء من حروفه، فإذا جاز أن يخرج بعض الأصل الواحد، من أن تنظمهُ قضيّة الاشتقاق، كان فيما تقلّبت أُصوله عينه وفاؤه ولامه أسهل، والمعذرة فيه أوضح"[93].

ولعلَّ من المفيد أن نذكر أنَّ السيوطي في كتابه المزهر أشار إلى هذا النوع من الاشتقاق، وذكر أنَّهُ "ليس معتمدًا في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب ...، وسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أنَّ الحروف قليلة، وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى؛ فخصوا كل تركيب بنوعٍ منها؛ ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعًا كثيرة؛ ولو اقتصروا على تغاير المواد، حتى لا يدلّوا على معنى الإكرام والتعظيم إلَّا بما ليس فيه شيء من حروف الإيلام والضرب لمنافاتها لهما، لضاق الأمر جدًا، ولاحتاجوا إلى أُلوف حروف لا يجدونها"[94].

والاشتقاق الأكبر؛ وهو أن "ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطًا غير مقيد بنفس الأصوات، بل بنوعها العام وترتيبها فحسب، فتدلّ كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة بهِ، متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل، سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها، أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع، ونعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق"[95].

وقد ضرب لهُ ابن جني أمثلة كثيرة في كتابه الخصائص في باب: "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، أي أنَّ تقارب الحروف في كلمتين يدل على تقارب معناهما، أو الحرفان المتقاربان يستعمل أحدهما مكان صاحبه، ومثَّل لذلك ذلك بقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً) {مريم: 83}، "أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزًّا، والهمزة أُخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنَّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنَّك قد تهزّ ما لا بال لهُ؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك"[96].

93 ـ المصدر نفسه، 12/2.
94 ـ المزهر: السيوطي 337/1.
95 ـ فقه اللغة: علي عبد الواحد الوافي 142.
96 ـ ص: 146/2.

و**الاشتقاق الكُبَّار**؛ قال ابن فارس: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وهذا مذهبنا في أنَّ الأشياء الزائدة عن ثلاثة أحرف فأكثر منحوت مثل: قول العرب للرجل الشديد "اضبطر" من ضبط، وصبر "[97].

واستنادًا إلى ما سبق فهو انتزاع أصوات مفردة من مفردتين فأكثر أو من جملة، مع تناسب المنحوتة والمنحوت منها في اللَّفظ والمعنى؛ للدلالة على معنى مركب وهذا ما يعرف عند اللُّغويين بالنحت، فقالوا: بَسْمَلَ – سَبْحَلَ – حَيْعَلَ إذا قال: بسم الله – سبحان الله – حيّ على الفلاح، وكذلك بالنسبة للاسم المركب، أي: العلم المضاف وهم إذا نسبوا إليه نسبوا إلى الأول، وربما اشتقوا النسبة منهما فقالوا: عبشمي – عبقسي – مرقسي إذا قال: عبد شمس – عبد قيس – امرئ القيس[98].

رابعا: ابن جِنّي ونتاجه اللُّغوي والصوتي

يُعدُّ من أهم العلماء الذين ظهروا بعد سيبويه، فقد تربّى في مناخهِ الفكري، وصنع لنفسهِ فلكاً يخصّه، ووضع في عُلُوم اللُّغة بصماته، فتفوّق في علل العربيّة وتخريجها وبيان الحكمة في تصاريفها، واستخراج مناسبات الاشتقاق، وكان واسع الذؤابة والدراية وقد أورد في الخصائص في باب – الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره – هذا البيت:

مارِيَّة لؤلؤانُ اللّون أوَّدها ********** طلٌّ وبنَّس عنها فرْقَدُ خَصِر

وقولهُ: " وبنَّس عنها هو من النّوم"[99]، وفي اللسان "بنس": "قال ابن سيده: قال ابن جِنّي: قولهُ بنس عنها إنَّما هو من النّوم، غير أَنَّهُ إنَّما يقال للبقرة، ولا أعلم هذا القول من غير ابن جِنّي"[100]، ومن ذلك ما رواهُ عنهُ صاحب اللّسان في كلمة الضِنبُل، "الضِنبُل بكسر الضاد وضم الباء"[101]، وقد وثق بروايته ودرايته باللُّغة، ومن مباحث علم أُصول الفقه قاعدة الإجماع، فقد أخذ بها النُّحاة حتى أَنَّهم رفضوا أي فكرة للتّجديد، يقول ابن جِنّي في –باب القول على إجماع العربيّة متى يكون حُجة – "أعلم أنَّ إجماع أهل البلدين إنَّما يكون حُجة إذا أعطاك خصمك يده ألاَّ يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص.....إلخ"[102]، وهو لا ينسى الأصوات في كتاباته وخصّص لها باباً

97 ـ الصاحبي في فقه اللغة 227.
98 ـ ينظر: فقه اللغة: 144.
99 . الخصائص: 24/2.
100 . لسان العرب: ابن منظور _ "مادة: طابل" 31/6.
101 . المصدر السابق: ابن منظور 389/11.
102 . الخصائص: ابن جني 189/1.

في كتابهِ الخصائص بعنوان: "تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني"[103]، ومن خلاله نستطيع أن نستشف ما يرمي إليه ابن جِنّي، وهو أنَّ اللفظ يأتي ملائماً للمعنى محاكياً لهُ وفق ما يقتضه.

خامسا: أساتذته

أساتذته أو شيوخه، وهم من أخذ عنهم وتأثر بهم، ففي شبيبته أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي، وأخذ فيما بعد عن أبي علي فأكثر الأخذ عنهُ، وقد أخذ عن كثير من رواة اللُّغة والأدب مثل: ابن المقسم، والأصبهاني، والسجستاني، والمبرد، وكان ابن جِنّي لا يأخذ عن بدوي إلاَّ بعد أن يمتحنه ويُثبت من أمره، وقد عقد لهذا باباً في الخصائص: "باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما آخذ عن أهل الوبر"[104]، ومن الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم الشجري، وسأحاول بقدر الإمكان أنْ أُعرف ببعض الأعلام المميزة والبحور الزكيّة العلمية النّحوية التي اغترف منها ابن جِنّي العلم.

1/ الأخفش: وهو ثاني الأخفشين كان إماماً في النّحو فقيهاً فاضلاً عارفاً بمذهب الشافعي، قرأ عليه ابن جِنّي وأقام ببغداد، وكانت لهُ حلقة بجامع المنصور، ولهُ كتاب في تحليل القراءات السبع [105]، ولم تُذكر المراجع شيء عن حياته وتاريخ وفاته [106].

2/ المبرد: وهو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد، والثمالي منسوب إلى ثمالة بن مسلم بن كعب بن الحارث، فكان شيخ أهل النحو والعربية، وكان من أهل البصرة، والمبرد شيخ فصيح صاحب نوادر وظرافة، صنّف كتب كثيرة من أكبرها كتاب المقتضب وهو نفيس، ولديه كتب أخرى منها: "معاني القرآن – الكامل – الروضة – المقصور والممدود – الاشتقاق – القوافي – إعراب القرآن – نسب عدنان وقحطان – الرد على سيبويه – شرح شواهد – ضرورة الشعر – العروض – ما اتفق لفظه واختلف معناه – طبقات النحاة البصريين"[107]، ولد المبرد سنة عشر ومائتين، وتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد [108].

---

103 . المصدر السابق: ابن جني 113/2.
104 . المصدر السابق: ابن جني 5/2 – 10.
105 . ينظر: بغية الوعاء: السيوطي 389/1.
106 . الخصائص: ابن جني 10/1 "مقدمة علي النجار".
107 . بغية الوعاء: السيوطي 270/1.
108 . ينظر: نزهة الألباء: الأنباري 200.

3/ أبو بكر السجستاني: هو أبوبكر محمد بن عزيز السجستاني، كان أديباً فاضلاً متواضعاً، صنّف كتاب غريب القرآن وأجاد فيهِ، توفى سنة ثلاثين ثلاثمائة [109].

6/ الفارسي: هو أبو علي الحسن بن أحمد بن الغفار الفارسي النحوي، كان من أكابر أئمة النحو، ولد بفارس بالقرب من شيراز حوالي سنة 288 هـ، أخذ عنه جماعة من حذاق النحاة مثل: علي بن عيسى الربعي (ت: 420 هـ)، وعضد الدولة البويهي (ت: 372 هـ)، وابن جِنّي، وهو الذي أحسن تخريجه، وفتح لهُ سبل الاستقصاء والتوسع في التّفكير، فهو أُستاذه بحقّ إذْ صحبهُ ابن جِنّي أربعين عاماً حتى توفى أبو علي سنة (377هـ)[110]، فخلفهُ ابن جِنّي، وتصدّر مكانه في بغداد[111]، ويذكر الرواة سبب اتصاله بأُستاذه أَنَّ أبا الفتح وهو شاب كان يدرس العربية في جامع الموصل فمرَّ بهِ أبو علي فوجده يتكلّم في مسألة قلب الواو ألفاً في مثل: "قال – قام" فاعترض عليهِ أبو علي فوجده مقصراً ونبَّهه على الصواب، وقال لهُ: "تزبَّبت وأنت حصرم"[112]، فتبع أبا علي حتى بلغ من أمرهِ ما بلغ "كان خطأهُ أمام أُستاذه في مسألة قلب الواو ألفاً سبباً في عنايتهِ بها، وإكثاره من القول فيها، وتراهُ في الخصائص يعرض لها أكثر من موضع"[113]، وتبحّر ابن جِنّي في علم التصريف؛ لأنَّ السبب في صحبتهِ أبا علي وتغربهِ عن وطنهِ ومفارقة أهلهِ مسألة صرفيّة، ولقد صنّف أبو علي كتباً كثيرة حسنة "منها كتاب: الإيضاح في النحو – وكتاب التكملة، والتذكرة، والعوامل المائة، أبيات الإعراب، وتعليقه على كتاب سيبويه، والمسائل الحلبية والمسائل البغدادية، والقصرية والشيرازية، والشيرازية العسكرية، والإغفال فيما أغفله الزجاج"[114]، وعلتْ منزلته في النحو حتى فضّله كثير من النحاة على المبرد، "توفى أبو علي الفارسي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سن سبع سبعين وثلاثمائة"[115].

---

109 . ينظر: بغية الوعاء: السيوطي 171/1، ينظر: نزهة الألباء: الأنباري 273.

*ثعلب: وهو أحمد بن يحي بن يسار الشيباني أبو العباس، ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة مائتين، وصنّف المصون في النحو، اختلاف النحويين، معاني القرآن، معاني الشعر، القراءات، التصغير، الوقف والابتداء، غريب القرآن، توفى سنة 291، ينظر: نزهة الألباء: الأنباري 202...

110 . نزهة الألباء: الأنباري 274.

111 . بغية الوعاة: 132/2، ونزهة الألباء: الأنباري 288.

112 . معجم الأدباء: 91/11.

113 . الخصائص: 145/1 – 153.

114 . المدارس النحوية: 129.

115 . نزهة الألباء: الأنباري 275.

سابعا: مصنفاته

خلّف كُتباً حساناً تدل على علمهِ الجمّ الغزير، وقد تخيّر لها أسماء حساناً كذلك، فهو من أحدق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنّف في ذلك كُتب أثنى عليها المتقدمين والمتأخرين، ويعبّر ابن جِنّي عن كُتُبهِ من خلال شعرهِ فيقول:[116]

تناقلُها الرّواة لها ***** على الأجفانِ من حَدَب**

فيرْتعُ في أزهارها **** مُلُوك العُجم والْعَرَب**

ويظهر فضله وعلمه في كتبه ومباحثه، ولقد كتب ابن جِنّي إجازة بكتبه لبعض الآخذين عنه نذكر بعضًا ما جاء فيها:[117] (كتابي الموسوم بالخصائص، كتابي التّمام في تفسير أشعار هذيل، كتابي في سرّ الصناعة، كتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق، كتابي في تعاقب العربية وأطرف به، كتابي مختصر التّصريف على إجماعه، كتابي مختصر العروض والقوافي، كتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثّلاثي على إعرابهِ في معناه وهو المقتضب، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المنتصف، كتاب الفصل بين اللّام الخاص واللّام العام، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الفرق، كتاب المعاني المجرّدة، وغير ذلك"[118].

116 . معجم الأدباء: 100/11.

117 . المصدر السابق: ياقوت الحموي 109/11.

118 . كشف الظنون: حاجي خليفة 654/1.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الواسعة من البحث والاطلاع، يجدر بي أن أدون أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها الدراسة، ومن هذه النتائج:

1/ من خلال ما اجمعت عليه المصادر يتبين أن اسمه أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي الأزدي، وأن ابن الأثير هو الذي يقتصر في تحليته على الموصلي، وكنيته أبو الفتح وهي الكنية التي يجر بها كتبه ويتصدر بها، وكان أبوه روميًا يونانيًا، وكان مملوكًا لـ سليمان بن فهد الأزدي.

2/ مذهب ابن جني لمْ يكنْ شيعيًّا بل يبدو أنّه كان حنفي المذهب، وكان معتزليا كشيخه أبي علي.

3/ يتعاطى في شعره الغريب والمعقد من الأساليب ولهذا وُصِف شعره بالبارد.

4/ اشتهر أبو الفتح ببلاغة العبارة، وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو من أهم العلماء الذين ظهروا بعد سيبويه، فتفوق في عُلُوم العربية وتميّز بطباع الاستقصاء، والغوص في التفاصيل، والتعمّق في التّحليل، واستنباط المبادئ والأُصول من الجزئيات، وكان واسع الذؤابة والرواية.

5/ لمْ يكنْ ابن جِنّي متعصّب لأي مذهب من المذاهب الموجودة في عصره، بل كان ينتخب منها ما يراهُ مناسباً مع ميلهِ إلى الأخذ بآراء البصريين وكان يسميهم (أصحابنا).

6/ يأخذُ أبو الفتح أحياناً بما قالهُ الكوفيون ولم يكنْ كـ نُحاة بغداد الذين توسعوا في الرّوايات، وزادوا في الرّخص، وتفاخروا بالنوادر، وتركوا الأُصول، ولا يعدُّ نفسه منهم،

كما اهتم بالأصوات فأكّد أنّ اللفظ يأتي ملائمًا للمعنى محاكيًا له وفق ما يقتضه.

7/ علم الصرف مأخوذ من صرف وهذه الكلمة جميع معانيها في اللُّغة تدل على التحول والتغيير والانتقال من حال إلى حال، فهو أساس اشتقاق الكلمة وهذا يدل على أنَّ اللُّغة العربية لُغة متجددة، والاشتقاق ميزة من ميزات العربية وهو وسيلة من وسائل تنمية اللُّغة وزيادة ثروتها اللفظية.

8/ ينقسم الاشتقاق إلى أربعة أنواع هي: صغير، وكبير، وأكبر، وكُبَّار "النحت" وهو من سنن العرب في اشتقاق الكلام وتوليد بعضه من بعض.

9/ الغرض من التصريف توضيح ما يعتري حروف الكلمة من أصالة، وزيادة، وحذف، والغرض من الاشتقاق بيان طرق انتزاع هذه الصيغ من بعض، ومن هذا المنطلق فقد فُسِّر الاشتقاق بما فُسِّر به التصريف.

10/ يعدّ ابن جِنّي من أبرز النحاة المتقدمين الذين شاركوا بما ألّفوا في تقعيد النحو، فقد خلّف كُتباً حساناً تدل على علمهِ الجمّ الغزير في النحو، والتصريف، واللغة، والعروض، والقراءات.

المصادر والمراجع

1. الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم الملايين، بيروت– لبنان – الطبعة الثامنة – 1989
2. الكامل في التاريخ: للإمام العلامة علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير – تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان – د. ط – د. ت.
3. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لـ العلامة السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، إسماعيل باشا البغدادي – د. ط – د. ت.
4. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين بن منظور – دار صابر، بيروت – د. ط – د. ت.
5. المدارس النحوية أسطورة وواقع، د. إبراهيم عبود السامرائي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1987م.
6. المزهر في علُوم اللُّغة: لـ العلامة السيوطي – المكتبة العصرية، بيروت – ج 2.
7. المستدرك على معجم المؤلفين: لـ عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
8. معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار أحياء التراث العربي– بيروت –لبنان – الطبعة الأولى –1988م.
9. الملل والنحل: لإمام أبو الفتح، محمد عبد الكريم الشهرستاني . صححه وعلق عليه: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1413هـ– 1992م..
10. النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل: شعبان عوض، دار طلاس/ دمشق سوريا، د. ط _ د. ت.
11. نزهة الألباء طبقات العلماء: . أبو البركات كمال الدين الأنباري _ تحقيق: محمد أبو الفضل _ دار الفكر العربي _ 1998 م _ د. ط.
12. أنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة: لـ جمال الدين أبي الحسن القفطي – تحقيق: دار الكنب العربي– القاهرة– مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت – الطبعة الأولى، 1986 م.
13. وفيات الأعيان وأبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان – د. ط.
14. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: تحقيق: د. مفيد محمد قميمة – دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان – الطبعة الأولى، 1402هـ–1983م.
15. رسالة في الاشتقاق، أبوبكر محمد بن السري السراج المتوفى سنة(312)، تحقيق: محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري.

16. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي الدمشقي (المتوفى: 1073هـ)، المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة: الأولى، 1308 هـ.

17. الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: 669هـ)، مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى، 1996.

18. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1379هـ - 1960م.

19. ابن جني النحوي، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، 1389هـ، 1939م.

20. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

21. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، الطبعة الأولى، 2004م.

22. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن هشام، وبذيله مختصر السالك إلى أوضح المسالك، د. بركات يوسف، دار ابن كثير، دمشق- بيروت – الطبعة الأولى، 2005 م.

23. بغية الوعاء في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان – الطبعة الثانية، 1979م

24. تاريخ بغداد: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي – دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان – الطبعة الأولى، 1997.

25. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، دار عالم الكتب- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.

26. سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، أحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000 م.

27. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤرخ الفقي أبو الفلاح ابن عماد الحنبلي، دار أحياء التراث العربي، بيروت – د. ط – د. ت.

28. الفهرست: لابن النديم، أبو الفتح محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف الوراق، تحقيق: رضا، دار السدرة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة،1998 م.

(والله – تعالى – أسأل التوفيق والسّداد)